على مجاوزتها ، فليس فى مقدورهم أن يختلقوا العوارض الطبية التى تصلح دونه غيرها لتفسير أخبارهم ونقائضهم واستخراج الحقائق الظاهرة أو المستترة بين طواياها .

وليس فى مقدورهم أن يصنعوا بيئة القبيلة ولا بيئة الأسرة ولا بيئة الجو النفسانى الذى نشأ فيه الشاعر وعاش فيه حتى اتفقت هذه البيئات جميعًا على التمهيد لتكوين إنسان موجود ، ولابد أن يكون موجودًا إذا تلازمت مقدمات وجوده ونتائجها على وجه يمتنع فيه الكذب ؛ لأنه كذب لا يستطيعه من يأتى به ولو أراده وتحراه .

* * *

فالشخصية التاريخية الصادقة هى التى تتوافق عناصرها ، وتتجمع ملامحها وتتلاقى أجزاؤها كما تتلاقى أجزاء الهيكل المتفرق بين حفائر الأرض ، فيركب كل منها فى مكانه وتستوى الأعضاء من هنا وهناك كما تستوى فى الكائن الطبيعى والصورة الحية .

وربما كان هذا الاستواء الذى لا حيلة فيه للرواة الكذبة ولا للرواة الأمناء أحق بالاعتماد عليه من ورود السيرة فى كتب التاريخ من مصادر أخرى بعيدة عن مصادرها العربية . فقد وردت سيرة امرىء القيس فى كتب نونوز وكتب بروكوب من مؤرخى الروم ، ووورودها هنالك دليل وثيق على شخصية تاريخية لم تنفرد بها المصادر العربية ولكن الصدق الذى تأتى به الأخبار على غير قصد من رواتها ووضاعها أصح فى الدلالة من المكتوب المقصود الذى لا يستحيل عليه ظن التدبير .